مسرحية انتيجونى لسوفوكليس

والصراع بين القانون الالهي والقانون الانساني

الدكتور احمد عبدالرحيم ابو زيد
مدرس في قسم اللغة الانكليزية

لم تحدث ظفرة في الحضارة في أية أمة من أمم العالم مثلما حدث في بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت الدراما (١) أهم مظاهر هذه الحضارة .

ارتبطت التراچيديا (المأساة) (٢) اليونانية منذ بدء تاريخها ارتباطا وثيقا بالديانة اليونانية . والادب والفن في معظم الامم يعتبران نتيجة لتأثر أفراد هذه الأمم بالديانة وشدة تعلقهم بها . وقد وجد الشعراء الهامهم العظيم في التغنى والاشادة بالآلهة ، كما وجده المثالون في نحت تماثيلهم .

ولا تشذ التراچيديا اليونانية عن هذه القاعدة . فهي تدين في أصلها لعبادة الاله ديونيسوس ، تلك العبادة التى نمت وتطورت وكملت خلال أعياده المقدسة (٣) .

اتفق معظم الأدباء والكتاب القدماء على ان المأساة نشأت من نشيد « الديثيرامبوس » وهو عبارة عن أغنية كورالية تغنيها جوقة (كورس) في أعياد الاله « ديونيسوس » خاصة في أثينا مهد المأساة . وقد جاء « أريون »

---

(١) الدراما تؤدى معنى « المسرحية » وتعنى في الاصل اليونانى حدثا يقدم على مسرح . وتنقسم المسرحية الى « تراچيديا » و « كوميديا » وتمثل التراچيديا الجانب الجدى بينما تمثل الكوميديا الجانب الهزلي . وقد اطلق بعض المحدثين على التراچيديا لفظ « المأساة » وعلى الكوميديا لفظ « الملهاة »

(٢) « التراچيديا » تعنى اصلا « أغنية الجدى » وترجع هذه التسمية الى عدة اسباب أهمها ان بعض من كان يقون بتمثيلها قديما كانوا يلبسون جلد الماعز ، وهؤلاء كانوا يمثلون اتباع الاله «ديونيسدس» الذي نبعث عن عبادته التراچيديا . وكانوا يكونون الكورس ويطلق عليهم اسم الماعز Tragi

(٣) دخلت عبادة « ديونيسوس » عن طريق أهل « فريچيا » « وليديا » باسيا الصغرى وقد اطلق الاسم « ديونيسوس » بواسطة أهل « فريچيا » اما أهل « ليديا » فكانوا يطلقون عليه اسم « باكوس » وهو اله الاشجار والنباتات والخضروات مختلفة الانواع ولكن اسمه ارتبط فيما بعد بالكروم اكثر من ارتباطه بأى شيء آخر . لذلك كان أهم مايتميز به هو أنه اله الكروم ومبدع الخمر .

في القرن السابع قبل الميلاد وأدخل على هذا النشيد ـ الذي كان يتغنى فيه بقصة ديونيسوس ـ الكلام الشعرى وهو عبارة عن حديث قصير بالشعر بين رئيس الجوقة وأعضائها حول قصة ديونيسوس • وقد ظهر لفظ تراچيديا لاول مرة في الوجود في هذا العصر ولم يكن هذا المصطلح قد اتخذ المعنى الذي تضمنه وعرف به فيما بعد لكنه كان يستخدم في وصف الديثيرامبوس الذي تفحه «أريون» في مدينة « كورنثوس » •

وقد اقتبس أهل «أثينا» ذلك الفرع الدرامي الذي نشأ نتيجة التعديلات التي ادخلها «أريون» الـذي وضع على رأس قائمة شـعراء التراچيديا التي وصلت ذروتها عند الكاتبين « أيسخولوس » و « سوفوكليس » •

فقد قام الأثينيون بخطوة هامة حولت « التراچيديا » الى فن أدبى رائع عند اليونان •ولعل هذه الخطوةالاولى في هذا التحول ترجع الى «ثسپيس» (القرن السادس قبل الميلاد) الذي يعتبر المبتكر الحقيقى للدراما التراچيدية، وذلك لأنه خصص شخصا ينطق بالكلام الشعرى الذى كان يقوم به رئيس الجوقة عند أريون وهذا الشخص يسمى Hupokrites أى « الممثل » • ولقد مثل الممثل الذى أوجده ثيسپيس الادوار الهامة في القصة من آلهةوملوك ورسل • فكان يظهر في شخصية منتحله ويقص القصة تدريجيا بطريق السرد والحوار • وكان ظهور الاشخاص الحقيقيين الذين تدور حولهم القصة على المسرح بأجسامهم ومحادثتهم لغيرهم عن اقدارهم وأغراضهم يعتبر من الخطوات الهامة التى خطتها التراچيديا • ويحتمل أن « ثسپيس » اختار موضـوع تراچيدياته ، التي لم تصل الينا ، من أساطير الالهة والابطال الاخرين بجانب اسطورة ديونيسوس • وبذلك اخذت التراچيديا تحرر نفسها من الموضوع المحدد من « ديونيسوس » وعبادته • وتنوع الكورس (الجوقه) ولم يقتصر فقط على مجموعة « الساتيريين » اتباع ديونيسوس • ان اهمية « ثيسپيس» لاترجع الى العمل الباهر الذى أوجده بقدر ماترجع الى انه خط الطريق أمام من أتى بعده من كتاب المأساة حتى وصلوا بها الى مرتبة الكمال •

وقد استخدم « أيسخولوس » (القرن الخامس قبل الميلاد) ممثلا ثانيا وبذلك استحضر أشخاصا يمثلون الاغراض المختلفة والاهواء المتنازعة وعرض هذه الشخصيات في صراع واقعي على المسرح ، ذلك الصراع الذي يعتبر العنصر الأهم في كل حدث درامى • ومصدر استمتاعنا الحق هو ذلك التلاعب بعواطف الشخصيات المتصارعة عندما تصطدم اطماعها • وهكذا أدخل في

الدراما تلك الحيوية التي كانت تنقصها فيما مضى .

ثم جاء « سوفوكليس » من بعده واستخدم ممثلا ثالثا ، وكان نتيجة ذلك ان ازداد العنصر الدرامى ، وكثرت فيه الحوادث المعقدة ، والشخصيات المتباينة التى جعلته اكثر متعة . وظهرت التراچيديا في صورة فنية مكتملة .

اختار « أيسخولوس » معظم رواياته من الاساطير وكان الصراع في هذه الروايات يدل على أهمية أخلاقية أو دينية سامية . وكان أيسخولوس يهتم بالديانة ويعتقد في قدرة الآلهة ويدخل بفكره وعقله الى حكومة العالم الالهية . وقد كان هدف سوفوكليس ان يجعل التراچيديا انسانية وأن ينزل بها الى مستوى أرضى من مستواها السامي الذى تحركت فيه من قبل دون أن يقلل في الوقت نفسه من روعتها المثالية . وقد حقق هدفه هذا بمهارة تامة. ولم تسيطر المشاكل الدينية والاخلاقية الكبيرة على الاهمية التي خلعها سوفوكليس في رواياته على البشر . ولم يبتعد سوفوكليس عنها كلية ولكن بدلا من أن تكون لها الاهمية الاولى التي اكسبها اياها « أيسخولوس » جعلها في المنظر الخلفي للصورة التي يقف الانسان ازاءها في تخطيط واضح. لقد اراد أن يظهر علاقة عواطف الانسان ومتاعبه بالقوانين الخالدة للعالم الالهى. ان طبيعة الانسان وعواطفه المختلفة اصبحت لاول مرة الشيء الرئيسى الذى يلفت الانظار في التراچيديا . لقد اهتم سوفوكليس بعواطفه اكثر من اهتمام ايسخولوس الذي اظهرهم في علاقتهم مع الآلهة بينما اهتم سوفوكليس بالفرد كما اهتم بدراسة الارادة الانسانية اكثر من الارادة الالهية . وليس معنى هذا أن نظارة سوفوكليس أقل اخلاصا للدين من الجيل السابق . بل أن قلة اهتمام سوفوكليس بمعرفة النظام الالهى انما يرجع الى أن النظام الالهى لايتطلب — في نظره — أى تفسير أو دفاع . ان افكاره عن الآلهة تتفق مع افكار أيسخولوس الا انه أقل تفاؤلا في نظرته الى مصير الانسان . انه يعتقد انه بينما تلقى الجريمة العقاب فان البراءة أيضا ليست دائما في مأمن من هذا العقاب . وتظهر هذه الحقيقة في معظم مآسيه . فأنتيجونى تلقى حتفها لانها تطيع قوانين الآلهة أكثر من اطاعتها لقوانين الانسان وتتكاثر المصائب على «أويديپوس» لسبب لايد له فيه ، الى اخر تلك المصائب التي لايستحقونها(٤) . وكانت شخصياته تسلك سلوكا نابعا من العقل وكان يفسر سلوك ابطاله بصورة انسانية . وكان الحدث في مآسيه ينبع من الشخصية ولا يحدث

(٤) انظر Haigh: The Tragic Drama of the Greeks, P. 171

مصادفة وانما ينشأ من دوافع ورغبات • ويعتبر أدبه تصويرا رائعا لآلام الانسان « وأنتيجوني » تعتبر اروع مثل لذلك فهى تتحمل العذاب حتى الموت • وقد كانت فلسفته قائمة على أن في كل شخص شيئا ما هو الذي تنبع منه آلامه وعذابه فآلام «أويديبوس» مثلا تنبع من حبه للاستطلاع وكذلك تنبع آلام انتيجوني من ايمانها بفكرة معينة لا تحيد عنها وتصميمها على تنفيذها • ان العقل في نظره هو الذى يسود الانسان وهو الذي يجلب له السعادة أو الشقاء • فاذا التزم الانسان جانب الخير فقد لقى السعادة اما اذا ركن الى الشر فمصيره الشقاء ولعل هذا واضح فيما آل اليه مصير «كريون» في مسرحية أنتيجونى •

وكان الصراع في مآسى سوفوكليس بين الابطال وبعضها ولم يكن صراعا بين الالهة أو بين الالهة والابطال كما في معظم مسرحيات أيسخولوس• وقد جعل شخصياته تحددمصيرها بأنفسهالا با لآلهة كما كان عند أيسخولوس• لقد جعل للبشر ارادة حرة لها كل اعتبار وتقدير بينما كانت الجبرية هى المحرك الاساسى لشخصيات أيسخولوس وكانت وسيلة في يد الآلهة كي تتحلى مشيئتها التى يتلقى عنها البشر الموعظة •

اذن فقد اهتم سوفوكليس بالبشر ولم يفكر الا في امورهم واهتم بتصوير النفس البشرية في الصورة التي رضى أن تكون عليها • كما ابرز صفاتها السامية التى تتمثل في تضحية «أنتيجوني» الصادقة وفي حب «الكترا» وعنادها ، وكرامة « أياكس » المخدوشه •

الاساس الذي يقوم عليه موضوع مسرحية « أنتيجوني » هو ايثار أنتيجوني أن تضحى بحياتها على أن تترك جثة أخيها دون أن توارى التراب كما أمر بذلك الملك « كريون » •

ويجدر بنا قبل أن نناقش ما جاء في المسرحية أن نتحدث بايجاز عن تاريخ اسرة «لايوس» جد «أنيتجوني» •

لقد اخبرت نبوءة « دلفى » الملك « لايوس » بأنه سيظل يحكم مدينة طيبه مالم يولد له ولد والا فانه سيقتل بيد ولده هذا • ولكن « لايوس » لم يأبه لهذه النبوءة وانجب ولدا هو «أويديبوس» وطرحه في العراء على جبل «كيثايرون» وبذلك عرض اسرته للعنة الآلهة • فبعد ان طرح «أويديبوس» في العراء أخذه أحد الرعاة الى « پوليبوس » ملك كورنة الذي اتخذه ولدا له • ولما سمع أويديبوس تعريضا بأنه ليس ابنا حقيقيا لپوليبوس استشار

بنوءة دلفى عن أصله ولكن أوحت اليه فقط أنه سوف يقتل أباه ويتزوج أمه • فصمم على أن يهجر مدينة «كورنثه» نهائيا معتقدا أن ما تقصده النبوءة هو پوليبوس وزوجته الملكة «ميروبى» واتجه نحو مدينة طيبة • وعند مفترق طرق ثلاثة اعترضه راكبو احدى العربات فتشاجر معهم وقتل سيدهم الذي لم يكن سوى الملك « لايوس » والذي لمّا يكن أويديپوس قد عرفه • ثم واصل أويديپوس السيرالى مشارف مدينة طيبة حيث قابل أبا الهول ، ذلك الحيوان الذى كان يلقى لغزا على كل من يمر به ثم يقتل من لايعرف له حلا • وقد أعلن « كريون » أخو الملكة وحاكم المدينة بعد مقتل « لايوس » أن المملكة والزواج من الملكة « يوكاستا» جائزة من يخلص المدينة من هذا الحيوان العجيب • فتقدم « أويديپوس » الى الحيوان وحل اللغز فخلص المدينة من شره وبذلك اصبح ملكا على طيبة وزوجا ليوكاستا وانجب منها ولدين هما «اتيوكليس» و «پولينيكيس» ، وبنتين هما « أنتيجوني » و « اسميني » • وعندما علم انه تزوج امه فقأ عينيه وأما الملكة فقد قضت على حياتها بالانتحار • ويقال ان ولديه عاملاه ذات مرة معاملة سيئة لاتليق بأب وملك سابق فدعا عليهما بأن يقتسما الارث بحد السيف وأن يقتل أحدهما الآخر • وقد حلت عليهما هذه اللعنة اذ انه عندما اصبحا في سن تؤهلهما للحكم اتفقا على ان يتناوبا الحكم كل سنة • وقد كانت السنة الاولى من نصيب «اتيوكليس» الذي رفض أن يخلي العرش لاخيه رغم انتهاء مدة حكمه • وكان « پولينيكيس » قد مكث في بلاط « أدراستوس » ملك « أرجوس » اثناء حكم أخيه وتزوج من ابنة هذا الملك الذى أعد جيشا ليعضد صهره في مطالبته بالعرش • وكان على رأس الجيش سبعة ابطال من بينهم پولينيكيس وقد عهد لكل من هؤلاء الابطال السبعة بمهاجمة أحد ابواب طيبة السبعة • وقد عين اتيوكليس سبعة ابطال أيضا لملاقاة كل بطل من ابطال العدو وكان هو نفسه أحدهم • وبعد ذلك اندفع الملك لملاقاة پولينيكيس بعد ان أدرك ان اللعنة قد حلت وصمم على قتال أخيه •

وقد انتصر أهل طيبة ولكن مات الاخوان «پولينيكيس» «واتيوكليس» في هذه المعركة • وفر جيش « أرجوس » بعد أن قتل قواده الهروب تحت جنح الظلام ولكن الطيبيين هاجموهم في الفجر وقد قتل في هذا الهجوم « مينويكيوس » بن « كريون » (الذي كان وصيا على العرش واصبح بموت اتيوكليس ملكا على طيبة) وقد ترك الغزاة جثث موتاهم في ارض المعركة

ومن بينها جثة پولينيكيس وقرر كريون عدم دفن جثثهم جميعا بما في ذلك جثة پولينيكيس .

وتبدأ أحداث مسرحية « أنتيجوني » في صبيحة اليوم التالي لقرار كريون .

تعالج مسرحية «أويديپوس ملكا» سقوط أويديپوس ، وتعالج مسرحية «أويديپوس في كولونا» نهاية حياة أويديپوس ، اما مسرحية «أنتيجوني» فتعالج مصير بناته «أنتيجوني» و « اسميني » .

ولم يذكر «هوميروس» أو «هسيودوس» أو «پنداروس» شيئا عن « أنتيجونى » وأختها « اسمينى » . وربما يعتبر عدم دفن جثة پولينيكيس اضافة من جانب الاثينيين الى الاسطورة لاظهار قسوة الطيبيين الذين لم يدفنوا جثث قتلى الحروب ومقارنتها بانسانية الاثينيين فقد سمح «ثيسيوس» الاثينى بدفن جثث أهل ارجوس في « اليوسيس » . واذا كان قرار كريون من اضافات أهل أثينا فانه يمكن أن نتصور أن تصميم أنتيجوني على دفن جثة أخيها وتحديها أوامر كريون من اختراع الشاعر الاثينى سوفوكليس واضافته .

وقد اعتقد بعض المحدثين ان رفض دفن الجثة ــ بالرغم من كونه عملا قاسيا ــ كان أحد عادات عصر الشاعر المعترف بها فيما يتصل بمصير أعداء الشعب ، وأن خطأ كريون هو فقط في درجة قسوته . وفي الواقع كانت هناك أمثلة لعدم دفن الميت في الاساطير علامة على الكره والمقت لذلك الميت . وقد حدث هذا عندما قام «ايجيستوس» بجريمته[1] (قتل اجاممنون والزواج من زوجته كليتمنسترا) .

ولكن الروح الهيلينية كما يظهر من الاساطير من وقت سحيق كانت ضد هذا الاجراء . ونحن نعرف أن المنتصرين قد سمحوا للمهزومين بدفن قتلاهم كما يتمثل فيما فعله «ثيسيوس» وسماحه بدفن جثث أهل أرجوس في «اليوسيس»[2] ، ولقد نكل «أخيليوس» بجثة «هكتور» ولكن « پريام » قد تضرع في منظر مؤثر لكي يحصل على جثة ابنه « هكتور » لدفنها[3] ، كما توسط «أوديسيوس» ودافع عن «أياكس» حتى دفن باحتفال مهيب[4] . وقد عبر عن هذه الروح أيضا يونان القرن الخامس قبل

(١) Sophocles, Electra, 1487 ff.
(٢) Plutarchus, Thes. 29
(٣) Iliad, 24. 411 ff.
(٤) Sophocles, Aiax, 1322 ff.

الميلاد فقد اعتقدوا أن روح الميت تهيم على وجهها دون أن تستقر في العالم الاخر اذا لم يدفن صاحبها وان ذلك فيه نقض لقوانين العالم السفلى • فقد دفن الأثينيون الفرس المذبوحين في موقعة « ماراثون » • كما دفن الفرس الاسپرطيين الذين ذبحوا في موقعة «ثيرموپيلاى» • وقد اتهم الأثينيون عشر قواد منتصرين في موقعة « أرجينوساى » Arginusae التى وقعت في نفس السنة التى توفى فيها سوفوكليس ــ وحكموا عليهم بالموت لأنهم لم ينقذوا بحارة بعض السفن التي غرقت وهكذا حرموهم من مواراتهم القبر • ولم يسمح « ليساندر » الاسبرطى بأن يدفن الاثينيون الذين سقطوا في موقعة « أيجو سپوتامى » Aegospotami وكان هذا لطخة عار في جبين ليساندر في نظر العصور اللاحقة • لذلك اعتبر نظارة مأساة «أنتيجونى» أوامر كريون قاسية وان كانت شرعية[1] • واتبع سوفوكليس وجهة النظر الانسانية •

يصور المنظر في المسرحية قصر ملك طيبة فتظهر الاختان «انتيجوني» Antigone و «اسميني» Ismene في بدء المسرحية امام القصر ليتداولا في امر القرار الذي اصدره كريون بعدم دفن جثة «پولينيكيس» وتركها في العراء نهبا للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة وان من يعترض امر الملك يرجم بالحجارة حتى الموت • وتظهر انتيجوني استعدادها مثل «جان دارك» وأمثالها لدفن جثة أخيها والتضحية بنفسها مدفوعة بشعور سام نحو واجبها ازاء أخيها لدرجة أنها لا تبالي بأي اعتبار اخر • وتحاول «اسميني» ان تثنى اختها عن عزمها لما في ذلك من خطورة على حياتها ولكن محاولتها لا تجدي نفعا بل تثير أنتيجونى وتغضبها وتصمم على ان تقوم بدفن أخيها بمفردها • فتذهب وتغطى الجثة بطبقة خفيفة من التراب كافية لان يتقى المجرم الخطيئة وأن يعمل على تحقيق الفكرة الدينية للدفن[2] • ويكشف الحارس امر أنتيجوني فيقبض عليها ويحضرها الى «كريون» الذى اخذ يتساءل عن جرأتها وعدم طاعتها لقراره ، ولكن تجاوبه بكبرياء وقوة :

---

(١) Jebb. Sophocles, Part III (The Antigone p. xxiii (Introduction).

(٢) ان القاء ثلاث حفن من التراب على الجثة كان كافيا لان يتجنب الدنس الذي يحل بالجثة التي لا تقبر (انظر (Horace, Odes xxviii, 33) وتعتبر جريمة في حق كل من يمر على جثة غير مدفونة ولا يلقي عليها التراب .

«ذلك لان «زيوس» لم يصدر الى القرار كما ان آلهة العدالة[٣] التي تقطن مع آلهة الموتى لم تصدر مثل هذه القوانين • وما أرى أن قراراتك قد بلغت من القوة بحيث تجعل رجلا من البشر ــ مثلك ــ يتخطى قوانين السماء التى لم تكتب والتى ليس الى تغييرها من سبيل •••• الم يكن من الحق على اذن أن أذعن لامر الآلهة من غير أن أخشى أحدا من الناس ؟ •••• لقد كنت اتعرض لما هو اشد لنفسى لو اني تركت بالعراء أخا حملته الاحشاء التى حملتني • »

أثار هذا الكلام النبيل الصادر من أنتيجونى عن القانون السماوى الاعظم من القانون الدنيوى غضب كريون على هذه الروح العنيدة التى تفخر بالجريمة • ورغم أن انتيجونى تعتبر ابنة أخته الا انها سوف لا تنجو من مصيرها المحتوم • سوف تتحطم روحها العنيدة هذه مثل صلب يتهشم • ولكنها تجيب على غضبه وتهديده ببساطة ومن أقصر طريق : « أيرغب في شيء آخر خلاف الموت ؟ » • ثم تدخل أختها «اسميني» التي لم تدافع عن نفسها بل رجت فقط أن تشارك مصير أختها • ولكن انتيجونى لا تقبل عرض أختها وتقول : «انك قد اخترت الحياة ولكننى قد اخترت الموت » •ولكن كريون يقطع حديثهما ويأمر الحرس بأن يأخذوهما الى داخل القصر • وبعد ذلك يأتي «هيمون» Haemon بن كريون وخطيب أنتيجونى ، والذى ربما يعتبر العاشق الوحيد في التراجيديا القديمة ، ليستعطف والده كى يعفو عن انتيجونى ولا يأمر بموتها • فيخبره كريون بأنه لاينبغى أن يخدع رجل بحب امرأة غير مطيعة مثل انتيجونى مما يجعله يحيد عن طريق الصواب • وكانت اجابة هيمون صورة رائعة للبصيرة وحسن التصرف • ان العقل هبة الاهية ويجب على الانسان أن يصغى لصوت العقل • أنه قد سمع بنفسه نقد اهل المدينة لما يقوم به أبوه كريون من اعمال بل سمع أشياء كثيرة مما لا يجرؤ أحد على ان يتفوه بها في حضرة الملك وان الرأى العام يساند أنتيجوني في عملها وانها اقل النساء استحقاقا لهذا الموت الشائن في سبيل عمل مجيد • لذلك يجب ان يصلح ما يعتقد أنه خطأ فاحش • مهما يكن الرجل حكيما فليس من العار ان يتعلم •

ولكن كريون يقابل هذه النصيحة بالغضب • كيف يتلقى الحكمة من هذا الغلام الحدث ؟ وانه السيد الوحيد في مملكته • انه سوف لايحيد عن

---

(٣) لم تمنع آلهة العدالة البشر من دفن موتاهم بل على العكس انها تلزمهم بأن يفعلوا ذلك .

طريق القانون في سبيل نزوة ازاء امرأة او قوم لهم راى مخالف • ولم يستمع الملك لنصائح ابنه بل كان رده عليها ان يامر الحراس بأن يحضروا أنتيجوني لتذبح امامه وأمام خطيبها • وهنا يندفع هيمون ويخرج وقد تملكه الغيظ مهددا والده بأنه سوف لا يرى وجهه ثانية • ويذكر كريون في حديث له مع الجوقة والمكونة من شيوخ طيبة ، بأنه سوف يعفو عن «اسميني»لانها لم تتعرض لجثة أخيها اما أنتيجوني فسوف تحبس في نفق خال وتبقى فيه حتى الموت • وتكاد تبكى الجوقة عندما يشاهدون الحراس يقودون انتيجونى كى تقبر حية • فليس هناك ابشع من الموت حيا في قبر • وقد كان هذا ضد عادات اليونان ولو ان ذلك له شبيه عند الرومان فقد كان يحل بالعذارى المذنبات اللاتي كن يحرسن نار الالهة « ڤستا » في روما • كما أن له شبيه في العصور الوسطى عندما تفقد الراهبات بكارتهن[1] • ولكن انتيجوني كانت بريئة من الاثم ولم يكن الدافع للعمل الذى تعاقب من اجله الا عاطفة مقدسة •

ثم تندب انتيجونى حظها في كلام مثير للشجن، فتبكى على شبابها الذى قضي عليه بقسوة، وعلى زواجها الذى لم يتم وسيكون مقرها الاخير مكانا لاتعيش فيه مع الاحياء او الاموات • ثم تصيح في ألم : « ياللقبر ! يالسرير العرس، ياللسجن الابدى في كهف صخرى حيث اذهب اليه لاجد أعزائي، اولئك الذين ماتوا ••• وسيكون هبوطى الى العالم الأخر مصدر سرور لابى ولك يا أماه ، ولك يا أخي[2] » •

وتنهي كلامها عندما يقودها الحراس الى القبر مخاطبة اشراف طيبة الذين تتكون منهم الجوقة بقولها : «انهم ليقودونني من هنا • الان • الان، دون ان يبطئوا • انظروا يا أشراف طيبة الى ، آخر بنت في اسرة ملوككم • انظروا ما أنوء به ! ومن أي يد ! ، لأنني قمت بما توجبه علي التقوى » • ثم تذهب مع الحراس وتختفى الى الابد •

وبعد ذلك يدخل «تيريسياس» العراف حاملا أخبارا سيئة للملك كريون • ويخبر العراف الملك بأنه مصدر الشقاء فان اعماله قد أنزلت غضب

---

(١) انظر : Rose : A Handbook of Gr. Mythology : p. 192.

(٢) وهي هنا مثل سقراط الذي يحاول أن يعزي نفسه واصدقاءه بانه اذا لم يكن الموت فناء او نوما بدون رؤيا فانه سوف يكون في العالم الاخر في حقول الاليزيه ويتحادث مع ارواح الخيرين والحكماء . وهكذا سوف تقابل أنتيجوني والدها ووالدتها وأخاها الذي ضحت من اجله بكل شيء .

الالهة على المدينة ، اذ أنه أثار حفيظتهم بعدم السماح بدفن جثة «پولينيكيس» • ليعيد الملك انتيجوني الى الحرية ويدفن پولينيكس • ولكن كريون ــ مثل أويديپوس ــ يصم آذانه عن نصيحة العراف ويعزف عن التفكير في أعماله حتى يجيء التفكير متأخرا • انه ــ مثل اويديپوس ــ يضيف الى الجريمة عدم الولاء للألهة اذ يتفوه في عناد وغطرسة بكلمات تدل على الالحاد وتثير ولاشك المشاعر الدينية للنظارة من الاثينيين • وأخذ يضيف الى كلمات اللوم التى وجهها الى «تيريسياس» ، من أنه مرتش وأن هذا خطتهم من الشعوذة التى كانت لمدة طويلة تستخدم ضد القصر، كلمات أقسى تجرح احساس تيريسياس • فما كان من الاخير الا ان يصوب سهمه الى قلب كريون ويعلن بأنه سوف لايرى الشمس تغرب دون أن يدفع ضريبة الدم الذى سفكه : «لانك حبست في القبر نفسا حية بطريقة مخزية • واحتفظت في هذا العالم بشخص ينتمى الى آلهة العالم السفلى وجثة بدون دفن ودون تقديم قرابين او اقامة طقوس دينية لها ••• لذلك تمكن لك المنتقمات ، ارواح الشر لها دس ولآلهة العالم السفلى كى تتردى في مثل هذه الشرور » •

ثم يخرج «تيريسياس» يقوده الصبى الذى يصاحبه • فتضطرب نفس كريون بهذه النبوءة وينتابه الندم قبل رحيل «تيريسياس» مباشرة • وسيستمع لنصيحة الجوقة فيطلق الفتاة من سجنها ويقيم قبرا لپولينيكيس• ويخضع للضرورة ويأمر خدمه بأن يحضروا المعاول ويقرر أنه سيطلق بنفسه أنتيجونى من سجنها • ولكن هيهات ! ان نبوءة «تيريسياس» بأنه سوف يكون هناك عويل وبكاء في قصر طيبة تتحقق • فيدخل رسولا حاملا انباء سيئة ويلقى خطبة طويلة يمكن تلخيصها في العبارة التالية : «ان «هيمون» غارق في دمائه وقد هلك بجوار انتيجوني التى انتحرت»•وتتابع الاحداث بسرعة فما أن تسمع الملكة «يوريديكي» بقصة موت ابنها منتحرا بعد ان شاهد «انتيجونى» وقد علقت من عنقها وخنقت نفسها بمنطقتها، حتى تندفع الى القصر دون ان تنطق بكلمة • هذا الهدوء المنذر بالسوء ازعج الجوقة • وقد تحققت مخاوف الجوقة فبعد ان يدخل كريون يحمل جثة ابنه هيمون وهو محطم من هول الفاجعة وتنحى باللائمة على جنونه وحمقه اذا برسول آخر يأتى من القصر ويعلن خبر انتحار الملكة • وكانت هذه الضربة الاخيرة الموجهة الى كريون • وتحمل جثة الملكة الى المسرح • وتنتهى المسرحية بلوم الملك لنفسه وبكائه بينما لاتحاول الجوقة أن تسرى

عنه • انه يعترف بأن دم الابن والزوجة يقع على رأسه ويرجو من الحاضرين أن يغمدوا سيفا في صدره فقد اصبح لا يرغب في ان يرى ضوء النهار ويرجوهم ان يأخذوه الى مكان بعيد فهو الاحمق المدنس • ثم يدخل القصر • لقد فقد كل مباهج الحياة وكل هدوء للعقل الى الابد • ان ضميره يعذبه لانه يشعر بأن عناده وغطرسته كانتا السبب في موت ابنه وزوجته • ثم تتحدث الجوقة بكلمات قليلة تشير الى المغزى الاخلاقي للمسرحية : « ان الحكمة لأول ينابيع السعادة ، لا ينبغي ان نقصر في تقوى الالهة • ان غرور المتكبرين ليعلمهم الحكمة بما تجر عليهم من الشر ، ولكنهم لا يتعلمون الا بعد فوات الوقت وتقدم السن »(الاسطر ١٣٤٧ ــ ١٣٥٢) •

والمشكلة التى اثارها سوفوكليس في هذه المسرحية هى : ماهو واجب الشخص عندما يصطدم القانون البشرى مع القانون الالهى؟ فنحن نجد في المسرحية مبدأين متعارضين، الاول هو واجب اطاعة قوانين الدولة ويمثله كريون، والثانى الاصغاء الى صوت الضمير والقيام بعمل تتطلبه الديانة والاصرار على عدم احترام قانون دنيوى ويمثله انتيجونى •

هل كان كريون وحده مخطئا ام ان انتيجونى تشاركه ايضا في الخطأ ؟

هناك من يقول ان الاثنين مخطئان • فقد تعدى كريون حدوده بتزاره وحطم القانون الالهى وكذا تعدت انتيجونى حدودها بتحدى قرار كريون • اذا كان الامر كذلك فان الصراع يكون بين شخصين كل منهما يدافع عن مبدئه ولكن دفاعه يكون بطريقة خاطئة، ولذلك فان كلا منهما يستحق العقاب • ربما استند اصحاب هذا الراى على تعليق الشاعر في نهاية المسرحية (الاسطر ١٣٤٧ــ١٣٥٢) التى ذكرناها من قبل والتى تعبر عن مغزى المسرحية •

فكأنهم فسروا كلمة الحكمة بأن يلتزم الشخص بالحدود الواجبة • ان السياق العام للمسرحية لايؤيد هذا الرأى • فمنذ بداية الرواية حتى نهايتها وشعورنا مع انتيجونى وفي صف الاعتقاد بأن الجانب الانسانى يجب ان يفسح طريقا للايعاز الالهى للضمير •

عمل كريون ضد رأى غالبية الشعب ولو أن هذه الغالبية لم تفصح عن رأيها علنا ويبدو ذلك من كلام «هيمون» الذى وجهه لابيه (٦٩٥) مما ينم على ان انتيجونى قامت بعمل بطولى • وفضلا عن ذلك فان الجوقة نفسها عند نهاية الرواية، ابتدأت ترى الحقيقة بوضوح وتخبر كريون بأنه سبب

مصائبه وان تبجيل الالهه يجب ان يبقى دون الحاد[1] • لـذلك كان عمل كريون في نظر معاصرى سوفوكليس عملاشنيعا مما جعله يتخطى امتيازاته ويشبه الطاغية الذى يستخدم قوة غير دستورية استخداما قاسيا •

انه يجيب ابنه هيمون قائلا : «هل لطيبة ان تملى على كيف احكم ؟ » ان الاثينيين قد يشبهوه بشخصية احد طغاتهم مثل «هيبياس» او «پيرياندر» يفرض سلطانه بالقوة على الشعب •

اما انتيجونى فقد قامت بعمل يعد من اعظم الاعمال المقدسة • كانت انتيجونى ولا شك مدفوعة بحب شخصى لاخيها ولكرامة اسرتها فضلا عن ان العمل الذى قامت به عمل تتطلبه الديانة • وكان هـــذا العمل معترفا بوجوبه من الجميع وهو عمل مسئول عنه الاختان ليس فقط امام الشخص الميت بل امام الآلهه، واذا اهمل هذا العمل فان الميت سيتعذب والآلهه ستنزل عقابها • هذه الحقيقة قوت من عزمها وتصميمها وجعلتها لا تأبه بامر كريون • ليس هنالك احد في استطاعته ان يمنع مثل هذا الواجب واذا اجترأ كريون على فعل ذلـك فان المسئولية عـن الصراع بين القانون الالهى والقانون الانساني تقع على عاتقه وحده[2] • ان معارضة انتيجوني للقانون الدنيوي شيء ضئيل بالنسبة الى الواجب العلوي الذي كانت تعمل على تأديتـه وان المبادىء التى يعتمد عليها كريون لتسيير دفة مملكته تفقد قوتها عنـدما تتعارض مع القانون الاعلى الذي كان يحطمه • اذا كان هذا هو المعنى الذي قصده الشاعر فان كلمة «الحكمة» التي استخدمتها الجوقة تعني اخضاع القانون الانسانى للقانون الالهى وانه اذا تعارض القانونان مع بعضهما فان القانون البشرى يجب عليه ان يخضع[1] • ولعل اضطراب كريون لـرد الفعل قبـل الفاجعة مباشرة اذ يقول : «ربما من الافضل أن تحفظ قوانين الآلهة[2] » دلالة واضحة على هدف الشاعر • ويذكر البعض انه كان يجب على انتيجوني ان تحاول عن طريق الاقناع ثني كريون عن قراره ، ولكن سوفوكليس قد صور شخصية كريون في صورة عنيدة وكانت انتيجونى تعرف هذا عنه •

ويذكر البعض ان انتيجوني كانت مذنبة • وقد استنتجوا ذلك من ان سوفوكليس جعلها تموت في النهاية • ولكن هذا الاستنتاج ليس صائبا، لان

---

(١) Antigone : 1257-1260; 1349-1350

(٢) Antigone, 1113-1114

الموت بسبب نبيل لا يكون احتمالا لذنب اخلاقي بل انه على النقيض من ذلك في مواقف عدة، مثل موقف انتيجونى، يكون امرا ضروريا للقيام بعمل صائب وبطولي ولا يعتبر مقياسا للقيمة الاخلاقية للعمل نفسه • ولو أنقذ الابطال من الرجال والنساء دائما من الاخطار التى تعرض لهم لزالت البطولة من الوجود سواء في القصص الخيالي أو الحياة الواقعية[٣] • لقد كانت انتيجونى بطلة وشهيدة نبيلة ترحب بالموت • انظر اليها حين تخاطب كريون: «من المحتم على الموت ــ اعرف ذلك جيدا حتى بدون قراراتك • ولكن اذا كان موتى قبل اوانه فان في ذلك مجد لى، لانه عندما يعيش انسان ــ كما اعيش ــ في بحر من الرذائل فهل يستطيع مثل هذا الانسان أن يجد شيئا سوى المجد بموته ؟ »

ان انتيجونى واحدة من الضحايا البريئة التى كثيرا ما يجعلها سوفوكليس موضوعا لتراچيدياته • ولم يكن من مذهبه ان يظهر ان سبيل الاحداث على الارض يحكم دائما بالعدالة المطلقة[٤] •

ويذكر البعض ان سوفوكليس قد ارشدنا عن طريق شعره الى موطن الداء واصل الصراع ولكنه لم يحاول ان يفرض آراءه سواء كانت خلقية ام دينية بل ترك الامر لمستمعيه ليقرروا ماشاء لهم ان يقرروا • انه لو فعل ذلك فان تقديرنا للمأساة كعمل فنى يجب ان يتأثر • ويتبين مما ذكرناه ان سوفوكليس وقف في صف الاعتقاد بأن النظام الانسانى يجب ان يفسح طريقا للايعاز الالهى للضمير، وان انتيجونى كانت مصيبة على طول الخط •

---

(٣) Bayfield, Antigone, Introduction, p. xxviii.

(٤) Haigh: The Tragic Drama of the Greeks, p. 185

المراجع

References

1 - A. E. Haigh: The Tragic Drama of the Greeks (Oxford at the Clarendon Press)

2 - R. C. Jebb: Sophocles, Part III, the Antigone, (Cambridge, The University Press.)

3 - M. A. Bayfield: The Antigone of Sophocles (London, Macmillan)

4 - H. J. Rose: A Handbook of Greek mythology, (London, methuen)

دكتور طه حسين : من الادب التمثيلى اليونانى ــ سوفوكليس (دار المعارف بمصر)